الفصل
السابع

عوامل تؤثر في استعمال موارد الأسرة

مما لاشك فيه أن موارد كل أسرة تختلف في كميتها ونوعها عن غيرها من الأسر ، بل إن طرق استعمال تلك الموارد تتشكل وتتحدد بظروف كل أسرة وقيمها وأهدافها . ولكن هناك بعض العوامل العامة التي تعلب دوراً هاماً في تقرير كيفية استعمال الموارد المتوافرة للأسرة . تلك العوامل هي :

١ - مستوي معيشة الأسرة .

٢ - المستوي الإجتماعي والاقتصادي الذي تنتمي إليه الأسرة .

٣ - دخل الأسرة .

٤ - حجم الأسرة .

٥ - الطور الذي تجتازه الأسرة .

٦ - اشتغال الزوجة بعمل خارج البيت .

٧ - مكان سكن الأسرة .

وكثير من تلك العوامل متداخل وتأثيره مشترك ، فمثلا الطور الذي تجتازه الأسرة وعدد أفراد الأسرة عاملان مرتبطان تماماً ، ولكن لكل منهما تأثير مستقل ومغاير للآخر ، ولو أنه يصعب فصل هذين النوعين من التأثير . ولكننا سنحاول توضيح أثر كل عامل علي حدة حتي لا يطغي أحدها علي غيره ، وحتي نتبين قيمة كل منها علي عملية الإدارة .

١ - مستوي المعيشة

سبق أن عرّفنا مستوي المعيشة بأنه الصورة العقلية التي يرسمها الفرد لما يعتقد أنه ضروري وحيوي لحياته من ممتلكات وخدمات ، فهو مضمون ومحتوي المعيشة التي يسعي الفرد لتحقيقها ويكافح في سبيل الإبقاء عليها والدفاع عنها.

وقد يعرّف مستوي المعيشة تعريفاً خاطئاً بأنه مجموع ما يتمتع به الفرد أو الأسرة فعلا من ممتلكات وخدمات . والفرق واضح بين التعريفين ، والواقع أن التعريف الثاني ينطبق علي المستوي الاستهلاكي للأفراد أو الأسرة .

فمستوي معيشة الأفراد هو مستوي نمو احتياجات هؤلاء الأفراد ومدي إشباع تلك الاحتياجات . والاحتياجات متعددة ومتشعبة ، ومن هنا يصعب تحديد مستوي المعيشة بقياس موحد . ويغطي مستوي المعيشة مفهوم الرفاهية المادية من غذاء وكساء وضروريات الإسكان ثم ظروف العمل ، أي عدد ساعات العمل وطبيعته ، والظروف الصحية المكفولة أثناء أدائه . ويعتمد مستوي المعيشة أيضاً علي المستوي الثقافي والاجتماعي ، وتقدم الآداب والفنون ووسائل الاتصال من صحف وإذاعة وتليفزيون .

ويعد المستوي الصحي العام معياراً آخر لمستوي المعيشة ، وهذا يعني مستوي الخدمات الطبية ، والسكن الصحي ، والتأمين والضمان الاجتماعي ، ومستوي الرياضة والتربية الرياضية وغيرها .

وهناك الظروف الاجتماعية ، وتشمل الحقوق السياسية ، والمدنية ، والحرية الفردية في مناحي النشاط المختلفة من علوم وفنون ، ثم حرية الفكر والرأي والعقيدة .

كيف تتكون مستويات المعيشة ؟

تتكون مستويات المعيشة بطريقة تماثل إلي حد كبير طريقة تكوين الرغبات ، فهي تتأثر بالأحوال الجغرافية ، والاقتصادية ، والفنية ، والتنظيمات الاجتماعية ، والفروق الفردية . كذلك يميل الأفراد الي نقل تقاليد وسلوك غيرهم من الناس .

لذلك فمستوي المعيشة لشعب من الشعوب يتمشي مع تطور هذا الشعب ، فالتغيير الذي يتأتي عن طريق اتساع المعلومات والخبرات يصحبه تغير فيما يبغيه الناس من أساليب وإمكانيات في معيشتهم . فعندما يزيد دخل الفرد فإنه يحاول الحصول علي المزيد من المواد والأدوات والخدمات التي يستعملها ، بل والتنويع فيها ، أي تزيد الكميات ويكثر التنويع . بعد ذلك يفكر الفرد في تحسين الأصناف والأنواع المستعملة ، وتباعاً تنشأ الرغبة في الحصول علي أشياء لم تكن مطلوبة قبل زيادة الدخل ، بل وتصبح تلك الأشياء الإضافية ذات قيمة حيوية وأساسية بالنسبة للفرد ، وبهذا يتغير مستوي معيشته .

أنواع مستويات المعيشة

تقسم مستويات المعيشة إلي :

(أ) مستويات جماعية .

(ب) مستويات فردية .

(جـ) مستويات دولية .

وكل من هذه المستويات يقسم إلي :

(أ) مستوي المعيشة المرتفع .

(ب) مستوي المعيشة المنخفض .

(جـ) مستوي المعيشة الباهظ الثمن .

المستويات الجماعية

رغم أن كل فرد يفضل أن ينفرد بأساليبه المختلفة وطريقة معيشته ، إلا أنه لا يمكن أن يختلف اختلافا كلياً عن غيره ممن يعيشون حوله وفي نفس المجتمع . وتنحصر أوجه الخلاف في نطاق ضيق ، أما الصورة العامة فغالباً ما تتمشي وتتشابه مع ما هو مألوف أو معقول في محيط الفرد . فإذا نظرنا الي مجموعة من الطالبات في رحلة مدرسية لوجدنا الجميع يتصفن بصفات متشابهة من حيث المظهر وطريقة اللبس ، وتسريحة الشعر ، وطريقة الحديث ، وأساليب السلوك ، وعند تدقيق النظر قد نجد اختلافا في نوع القماش المستعمل في ملابسهن ،

فبعضه غال وبعضه رخيص ، ونجد اختلافا فيما أحضرته كل طالبة من أطعمة ومسليات . فالصفة الأولي هي المستوي الجماعي ، أما التفاصيل فتدل علي المستويات الفردية للطالبات .

ولكل شعب مستواه المعيشي العام الذي يتميز به عن غيره من الشعوب . فيقال مثلا إن مستوي المعيشة في دولة من الدول أعلي أو أرقي من دولة أخري ، وكلما ارتقت الدولة حضارياً ارتفع مستوي المعيشة بها . ولذلك تختلف أسس تقييم مستوي المعيشة من شعب الي آخر ، ومن مجتمع الي مجتمع ، بل ومن أسرة الي أسرة أخري .

المستويات الفردية

وهي منتخبات من المستويات الجماعية ، فقد يعيش فرد في مجتمع ريفي في مستوي معيشة أبناء المدينة ، وقد يحدث العكس . وقد يكون للأبناء مستوي معيشي غير ما كان للآباء ، وهذا طبيعي في عصرنا الحديث ، وحتي مستويات الأبناء قد تختلف من واحد للآخر .

وكثير من الأسر تتمسك بمستوي معيشي معين حتي ولو لم يتناسب مع احتياجاتها وظروفها . قد يحدث هذا نتيجة ظروف خارجية أو بمحض إرادة أفراد الأسرة . فكثيراً ما نري رجلاً متديناً يعيش في مستوي معيشي بسيط زهداً في حياة الترف والمدنية ، لا شحاً بالمال وقبض اليد عن الإنفاق ، ولا لضيق ذات اليد. وأحياناً تتخذ الأسرة لنفسها مستوي معيشة مرتفعاً تحتمه عليها وظيفة رب الأسرة أو مكانته الاجتماعية .

المستويات الدولية

وهي المستويات الفردية أو الجماعية التي يمكن للفرد أن يتمسك بها في أي مكان في العالم ، أي أنه لا يحتاج لتغيير كبير في أسس معيشته عند انتقاله من بقعة لأخري في العالم ، وهذه المستويات مهما اختلفت فهي تتميز جميعها بالبساطة .

معني مستوي المعيشة البسيط

هل مستوي المعيشة البسيط والفقر مترادفان ؟ . الإجابة علي هذا السؤال بالنفي ، لسببين : أولهما أن مستوي المعيشة البسيط يشتمل علي الماديات الكافية ، أما الفقر فلا يسمح باقتنائها ؛ وثانيهما أن مستوي المعيشة البسيط يقع نتيجة اختيار الفرد نفسه ، أما الفقر فقد يقع لأسباب خارجة عن إرادته . وقد نري عائلتين لهما موارد متماثلة ، إحداهما تمثل معني مستوي العيشة البسيط ، فهي سعيدة قانعة راضية بما لديها وبالمستوي الذي اختارته ، أما الثانية فغير سعيدة لأنها تريد المزيد . فالبساطة حالة ذهنية ، وتبسيط وسائل المعيشة من أصعب الأمور في عصرنا المادي الذي نحياه ، وتحتاج لعزم وشجاعة لاتخاذ هذا القرار الذي يفضل فيه الشخص راحته وهناءه الشخصي عن تقاليد المجتمع ومستويات الغير . إن البساطة في المعيشة تكفل الحرية الشخصية ولا تعبأ بآراء الغير ، مادام الشخص لم يرتكب خطأ في حق المجتع أو حق الغير . وقد نادت الأديان السماوية بالبساطة في الطعام والشراب والملبس ، فالتعقيد والتضخيم مكروه غير مقبول . وتكاد تؤكد فلسفات بعض الناس أن الجمال في البساطة ، فهي تريح النفس وتهيء القيام بالكثير من الأعمال . وقد شاعت في السنوات الأخيرة اتجاهات نحو التبسيط ، في أثاث المنزل ، فاختفت الثريات الضخمة المتلألئة وحلت محلها إضاءة غير مباشرة لا تؤذي العين ، وقلت من المنزل قطع الأثاث الضخمة ذات النقوش والتطعيم ، وحلت محلها قطع خفيفة الحمل تكاد تخلو من الزينة ، اللّهم إلا في بساطتها وأناقتها .

ومن سمات المجتمع الإشتراكي تميزه بالجدية في العمل ، ونفعية السلوك وتوزيع الجهد الي ما يفيد الفرد والغير ، ولعل البساطة من عوامل توفير الوقت والجهد وتوجيههما الي أمور أخري تعود علي المجتمع بالنفع والرفاهية للجميع .

مستوي المعيشة المرتفع

وهو المستوي الذي يتعلق بقيم واحتياجات سامية والذي يمد الفرد أو الجماعة بالسعادة والرضي المرجوة .

مستوي المعيشة المنخفض

وفيه تتعلق معظم الرغبات بالحاجات الجسمية البيولوجية ، وأما القيم الأخري فتهمل تماما ، فهو يخلو من معاني الجمال والرقي ،أو التربية والثقافة ، والأمن ، وهوايات الأفراد ، والارتباطات الاجتماعية . ويحتوي مستوي المعيشة المنخفض أحيانا علي بعض الرغبات التي قد يثبت مع الزمن ضررها .

وقد ينتج مستوي المعيشة المنخفض من قلة الدخل المالي الذي يمّكن من الحصول علي أكثر من الضروريات الأساسية الحيوية للحياة . وقد ينتج عن جهل بمختلف القيم التي يمكن تكوينها حتي لو توافر المال ، فإن انحطاط المستوي الثقافي لا يساعد علي تهذيب وتطوير القيم .

مستوي المعيشة الباهظ الثمن

ويتميز بالطرق المتبعة للحصول علي القيم أكثر من ماهية القيم ذاتها. وقد يكون هذا المستوي مرتفعاً أو منخفضاً علي السواء . والملاحظ في هذا المستوي أن ما يستهلك من الموارد للحصول علي القيمة المنشودة أكثر بكثير مما هو ضروري. ولهذا ، فإن ضياع جانب من الموارد والمجهود سدي يعتبر من أهم صفات هذا المستوي . وينتج ضياع الموارد أكثر مما يجب إما عن جهل بطبيعة تلك الموارد، أو الجهل بطرق استعمالها . فبالنسبة لمن يتخير هذا المستوي لا يعتبر هناك ضياع يذكر . فاستعمال المزيد من الموارد هو الطريقة الوحيدة التي يمكن بها تحقيق الرغبات المنشودة .

تقييم مستويات المعيشة

إن معرفة مضمون مستوي المعيشة وكيف تتكون هذه المستويات يساعد الفرد علي تقييم وتحليل طرق ومستوي معيشته . وهذا التقيم يتم بطرق متعددة ، والغرض منه هو الرغبة في التغيير الي مستويات أعلي وأرقي ... ويساعد علي عملية التقييم هذه مقارنة مستوي المعيشة بالمستوي الاستهلاكي للفرد أو العائلة ، وقد سبق تعريف المستوي الاستهلاكي .

٢ - المستوي الاجتماعي والاقتصادي

لقد مر علينا حين من الدهر كانت طرق معيشة الأفراد وقيمهم وأهدافهم تتحدد بالطبقة الاجتماعية التي ينتمون إليها . فكانت هناك طبقة ارستقراطية وطبقة متوسطة ، ثم عامة الشعب . وكان المجال الاجتماعي لكل من هذه الطبقات واضحاً ومحدداً ، ولا يمكن الاعتداء علي الحدود أو الثورة عليها . فالتعليم الجامعي مثلا كان وقفاً علي أبناء طبقة تستطيع أن تدفع تكاليفه الباهظة ، ولم يكن غالبية أبناء الفلاحين أو أبناء العمال يسمح لهم ، بحكم تعليمهم ، بلوغ منصب أو مركز اجتماعي هو من حق طبقة معينة من المواطنين غير طبقتهم . وباختصار ، كانت مكونات مستوي معيشة الأفراد مفروضة عليهم فرضاً ، ونسبة الاختيار فيها محدودة ومحددة . فلم تكن هناك عدالة اجتماعية ولم يكن هناك تكافؤ في الفرص ، بل كانت الهوة شاسعة بين كل طبقة وغيرها من الطبقات ، واتخذت كل طبقة لنفسها سبلا في المعيشة وأسلوباً في الحياة لا تحيد عنه ، وانطبع ذلك علي أهداف الأسرة ومواردها المختلفة ، وبالتالي علي إدارة شئونها .

ثم قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لتحطم الحواجز بين هذه الطبقات عملا بما تمليه المبادىء الديمقراطية . فقد أثبتت بحوث علم النفس أن الذكاء ليس وقفاً علي طبقة دون غيرها أو علي جنس دون غيره من أجناس البشر . ألم ينادي الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرناً بالمساواة والعدالة وأن الإنسان بعمله لا بنسبه ، وأن خير المؤمنين عند الله من يسلك سلوكا يتمشي مع الدين . وما الدين إلا المعاملة ، وما المعاملة إلا حسن التصرف فيما يخص الفرد نفسه ويخص أهله وبني عشيرته وبني وطنه ثم البشرية عامة . فالدين والمذاهب السياسية المتحررة تدعو إلي المساواة ، والمساواة هنا تعني إعطاء أفراد الوطن الواحد فرصاً متكافئة بغض النظر عن المتسوي الاجتماعي والعقيدة الدينية ولون البشرة وغيرها من الحواجز التي اصطنعها الإنسان .

واذا كانت هذه هي فلسفة المجتمع الذي نعيش فيه اليوم ، فإننا نتنظر ، كما

يقول *فلاسفة التربية* ، أن تكون الأسرة عامل بناء في تأكيد هذا الاتجاه الديمقراطي. فالحرية والكرامة والمساواة والاحترام يجب أن تبدأ كلها في البيت ، في معاملة الوالدين للأبناء ، وعلاقة الأبناء بالوالدين . وفي العلاقات البشرية عامة ، ثم في إدارة شئون هذا المجتمع الصغير الذي ينشأ فيه الطفل ليعيش في مجتمعات أكبر .

وعلينا أن نؤكد بصفة خاصة طرق استعمال الموارد والتصرف فيها بحيث يكون التخطيط السليم والمصلحة العامة أساسها ، دون المصالح الفردية التي تغلب عليها نزعات الأثرة والأنانية .

إن الانتقال من الديكتاتورية وحكم الأقلية الي حكم الشعب بالشعب ولصالح الشعب في المجتمع علي مستوي الدولة ، يستتبع حتماً انعكاساً وانطباعاً علي مجتمع البيت . ولعله قد مضي الوقت الذي كانت الكلمة الوحيدة العليا فيه لفرد واحد ، وتحولت السلطة لتكون في أيدي الأفراد الذين يسكنون البيت . وهؤلاء بالتفاهم ومراعاة المصلحة العامة يتكاتفون في عمليات التخطيط والتنفيذ . بل إن جميع وسائل وطرق استعمال الموارد المتوافرة للأسرة تأثرت بهذا التغيير تأثيراً جذرياً ليتمشي مع هذه الثورة في القيم والأهداف التي تبنتها الأسرة في مجتمعنا المتطور .

٣ - دخل الأسرة

إن العامل الثالث الذي يقرر طرق استعمال الأسرة لمواردها المختلفة هو دخل الأسرة ، وهو في الواقع من أهم العوامل جميعها . ومع أننا قد أوضحنا أن دخل الأسرة المالي ليس أساساً لمستوي معيشتها أو لمستواها الاجتماعي ، إلا أنه بلاشك شديد الإرتباط بها . فالانسان بطبيعته يميل إلي الواقعية في التفكير ، فهو حين يتخير مستوي معيشته إنما يضع في اعتباره قدرته المالية ومدي إحتمال تحقيق هذا المتسوي . هذه القدرة المالية تتحدد بطبيعة عمله ومصدر رزقه ، وهذه

بدورها تتحدد بمستواه الاجتماعي .

ولكن : هل دخل الأسرة الكلي هو مجموع دخلها المالي ؟ والإجابة علي هذا السؤال « لا » . فما هو إذاً دخل الأسرة الكلي ؟ وهل هناك أنواع دخول متعددة؟ وكيف يمكن مقارنة دخل الأسرة ؟ ...

الدخل الحقيقي للأسرة

إذا سألت شخصاً عن دخله فستكون إجابته هي مجموع ما يدخل جيبه من نقود سواء من مصدر واحد أو من مصادر مختلفة سنوياً كان أم شهرياً . ولكن الاقتصاديين يعرفون الدخل بأنه مجموع السلع والخدمات المحدودة المتوافرة لتحقيق رغبات الأفراد وإشباع احتياجاتهم في مدة زمنية محددة . ويتكون دخل الفرد الحقيقي من قسمين :

(أ) دخل مباشر .

(ب) دخل غير مباشر .

والدخل المباشر يشتمل علي السلع المادية والخدمات المتوافرة للأسرة بدون استعمال المال ، ومثال ذلك إذا امتلكت الأسرة حديقة تنتج بعض الزهور أو الفاكهة ، أو أسرة تقوم بتربية دواجن ، فهم يحصلون علي دجاج وبيض لغذائهم دون شرائها ، ويخصم من هذا تكاليف تربية الدواجن أو مصاريف الحديقة . ومن تلك الأمثلة ما يقدمه المجتمع مثل المستشفيات والمدارس والحدائق العامة والمكتبات التي لا يمكن للفرد الحصول عليها بماله الخاص .

ومن أمثلة الخدمات ما قد يساهم به أفراد الأسرة من أعمال في المنزل ، كقيام ربة الأسرة بالتنظيف أو الطهو ، أو مشاركة الأبناء في شراء لوازم البيت ، وما قد يقوم به أحد الأفراد من إصلاحات أو ترميمات في أدوات المنزل . ومن الخدمات التي يقدمها المجتمع ، المواصلات والجوامع والكنائس وقوات الأمن والبوليس والمطافيء وغيرها .

أما الدخل غير المباشر فيتكون من السلع المادية والخدمات التي يحصل عليها الفرد نظير شيء مقابل ، عادة بدفع النقود .

وأمثلة تلك السلع لا حصر لها من علبة سجاير الي سيارة أو مسكن خاص أو طعام أو ملابس . ومن الخدمات ما يستلزم درجة عالية من التخصص والدراسة كعيادة الطبيب لمريض ومباشرة علاجه . وبعض الخدمات تتطلب مهارة فنية قليلة كإصلاح عطب في صنابير الماء . ومنها ما يحتاج الي مجرد جهد جسمي كحمل حقيبة المسافر في محطة سكة حديد .

وفي أحيان كثيرة نحصل علي خدمة ما مقابل خدمة أخري نقدمها فمثلا تقوم سيدة بمساعدة جارتها في حياكة فستان ، وتقوم الأخيرة نظير ذلك بإعطاء بعض الدورس لابنها . أو قد تتبادل الطالبات بعض الكتب المدرسية بدل شرائها جديدة ، وهكذا .

الدخل المعنوي

ويشمل مقدار الراحة والسعادة التي يستشعرها الفرد من حصوله علي دخله الحقيقي ، ويختلف مدي هذا الدخل من شخص لآخر تبعاً لمستوي معيشته ؛ فمثلا إذا أمتلك شخص ما وليكن (أ) كل ما يعده حيوياً وضرورياً لحياته فسيكون سعيداً قطعاً ، ويكون دخله المعنوي كبيراً . وقد نري شخصاً آخر (ب) الذي يختلف مستواه المعيشي عن (أ) يحصل علي سعادة قد تقل أو تزيد عما حصل عليه (أ) من امتلاك أشياء كالتي يمتلكها . وبذلك يحصل (ب) علي دخل معنوي قد يزيد أو يقل عن دخل (أ) .

وهنا يمكننا تقسيم الدخل الحقيقي كالآتي :

الدخل الحقيقي ـ هو كل السلع المادية والخدمات التي تحصل عليها الأسرة، وينقسم الي :

(أ) دخل مباشر : الموارد المحدودة التي تحصل عليها الأسرة من المصادر التالية دون استعمال نقود :

١ - سلع مادية تنتج في البيت .

٢ - خدمات يؤديها أفراد الأسرة .

٣ - استغلال ممتلكات دائمة .

٤ - خدمات مجانية يقدمها المجتمع .

(ب) دخل غير مباشر : الموارد المحدودة التي تتوافر للأسرة مقابل :

١ - مال .

٢ - تبادل .

(جـ) دخل معنوي : السعادة المكتسبة من كل السلع المادية والخدمات التي تحصل عليها الأسرة .

الدخل الكلي

يتكون الدخل الكلي كما هو واضح في شكل (٥) من الدخل الحقيقي (بدون الدخل المعنوي) مضافاً إليه المال المتبقي من الدخل المالي والذي لم يحول الي موارد محدودة ، هذا القدر من المال قد يستغل في :

(أ) الادخار .

(ب) هدايا لأفراد خارج العائلة .

(جـ) أعمال خيرية وتبرعات .

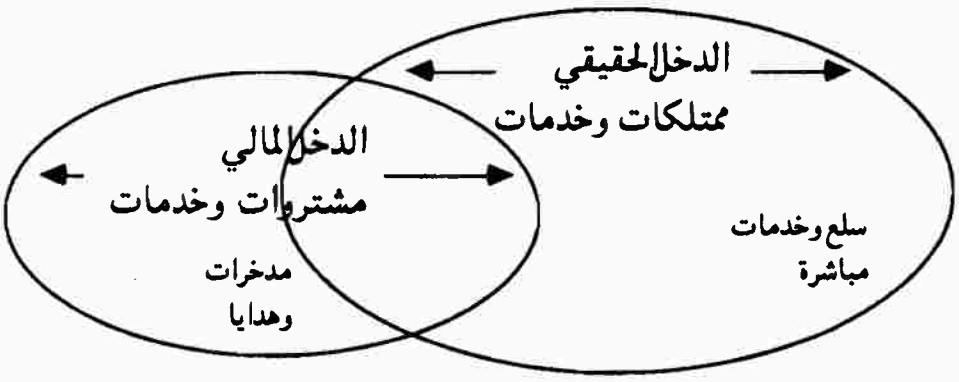

شكل (٥) : الدخل الكلي.

وقد يصعب علي الذين تعودوا استعمال تعبير (الدخل) ، علي أنه مقدار المال الذي يحصل عليه الفرد أو الأسرة ، قد يصعب عليهم استيعاب فكرة أن

الغذاء والكساء وغيرها من المشتريات والخدمات تعتبر جزءاً من الدخل . والواقع أنه لكي نستطيع مقارنة الدخل المالي يجب حساب القيمة الشرائية لهذا الدخل ، فإذا قارنا دخل أسرة مصرية سنة١٩٣٠ بدخل أسرة من نفس الحجم سنة١٩٧٠ ووجدنا نسبة الدخل قد زادت ثلاثة أضعاف من حالة الأسرة المالية سنة ١٩٣٠ ؟ سنجد الإجابة بالنفي إذا قارننا القدرة الشرائية للجنيه في كل من السنتين المذكورتين . ولذلك يعرف الدخل المالي بأنه القدرة الشرائية لكمية النقود التي يحصل عليها الفرد في فترة زمنية محددة .

والاتجاه الي الاهتمام بمعني الدخل الحقيقي فيه اعتراف بكل ما يسهم في قضاء احتياجات الأسرة من موارد ، فيشمل النقود والوقت وطاقات أفراد الأسرة وميولهم وقدراتهم ، وكذلك موارد المجتمع . والواقع أن الدخل الحقيقي يعطي صورة أدق لما تحصل عليه الأسرة ولو أن طرق قياسه غير مقننة بعد .

٤ - حجم الأسرة

توصف الأسرة بأنها كبيرة أو صغيرة بالنسبة الي عدد أفرادها ، ثم يختلف تركيب الأسر من حيث جنس الأفراد وأعمارهم . ولكل هذه الاختلافات أثر بيّن في طرائق استعمال موارد الأسرة ، وأكثر تلك الآثار وضوحاً يقع علي المورد المالي للأسرة . فمن الطبيعي أنّ تكاليف المعيشة ترتفع وتزداد بزيادة عدد أفراد الأسرة ، ولكن هناك جوانب في التكاليف أكثر تأثراً بزيادة عدد الأفراد عن غيرها ، فمثلا تكاليف المأكل والملبس والرعاية الطبية ترتفع ارتفاعاً مطرداً مع عدد الأفراد ، بينما قد لا تتغير تكاليف السكن أو الأثاث والأدوات إلا تغييراً بسيطاً . وكل طفل جديد في الأسرة لابد أن تصحبه زيادة في تكاليف الغذاء والملبس والتربية والتعليم ، بينما ليس من الضروري أن تصحبه زيادة في تكاليف أثاث البيت المستعمل أو زيادة إيجار المسكن .

وإنه من أخطر مشاكل جمهورية مصر العربية الاقتصادية والاجتماعية بل الواقع من أخطر مشاكل العالم كله - مشكلة تزايد عدد السكان . فقد زاد عدد سكان العالم في المائة والخمسين سنة الأخيرة زيادة كبيرة لا تضاهيها أية فترة من

فترات التاريخ . فبعد أن كان عدد سكان العالم ٩١٩ مليون نسمة في أوائل القرن التاسع عشر ، وصل الي ٢٣٣٠ مليوناً في منصف القرن العشرين .

وفي مصر نري هذه الزيادة المطردة بشكل يستدعي الاهتمام البالغ بهذه المشكلة التي لابد لها من حل حاسم ، إذا كان لنا أن نأمل في مستقبل زاهر ومستوي معيشة مرتفع . فقد تضاعف عدد السكان في مصر منذ أوائل القرن الحاضر ، فقفز من عشرة ملايين الي ما يزيد عن ثلاثين مليوناً في نصف قرن .

ومنذ قيام الثورة وقيام النهضة الصناعية في مصر زاد الإنتاج وزاد الدخل القومي ، ولكن نسبة الزيادة لا تجاري ازدياد عدد السكان . ولهذا اتجه اهتمام الدولة الي توعية الأفراد بأهمية تنظيم النسل وتحديده . وإذا أردنا تحسين مستوي معيشة الأسرة ورفعه الي المستوي الإنساني اللائق ، ورفع دخل الفرد بنسبة تمكنه من المعيشة الكريمة ، وإيجاد العمل الصالح العاجل لكل قادر . وإذا نحن أردنا تحسين طرق إدارة المنزل التي تتكفل بكل هذه الجوانب ، فيحسن أن نلقي ضوءاً علي بعض أسباب مشكلة تزايد السكان في مصر . ويقول الأقتصاديون ان أهم تلك الآسباب ما يأتي :

١ - الناحية الاقتصادية

(أ) الفقر

فمما لاشك فيه أن العلاقة وثيقة بين دخل الفرد ومعدل المواليد . ويقول الأستاذ " *مارشال*" الاقتصادي الانجليزي « *تهبط نسبة المواليد عادة بين الميسورين من الناس بينما تزداد هذه النسبة شيئاً فشيئا كلما انخفض مستوي المعيشة الفردي، وهكذا فالخصوبة وإنجاب الأطفال تتحدد الي حد كبير بمستوي المعيشة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معان عديدة* » .

وقد قام الأستاذ " *كايزر*" مدير معهد الإحصاء الأمريكي ببحث حالة ١٠٠٠زوجة أمريكية بعد الحرب العالمية الثانية من مختلف الطبقات والدخول ، فوجد أن معدل المواليد يصل الي ٩٣ بين طبقة رجال الأعمال الميسورين ، ١٠١ في طبقة المحامين والأطباء والمهندسين ومن اليهم ، بينما يصل هذا المعدل الي ١١٢ في طبقة العمال المهرة ، ١٢٧ فيما دون هذه الطبقة . ووجد في بحث آخر

ان معدل المواليد يصل الي أعلي ما يمكن في الطبقة التي تعتمد في عيشها علي الإعانات الحكومية أو المساعدات المادية الأهلية ، إذ يصل الي ١٥٤ بينما ينقص الي ١٣٧ في الطبقة التي يقل دخلها عن ألف دولار في العام ، ثم يهبط الي ٩٤ في الطبقة التي يتراوح دخلها ما بين ١٠٠٠ و١٤٩٩ دولاراً ، ثم يهبط مرة أخري الي ٧٧ في الطبقة ذات الدخل المتراوح بين ١٥٠٠ و١٩٩٩ دولاراً ، ويستمر في الهبوط حتي يصل الي ٣٧ في الطبقة ما بين ٢٠٠٠ و٢٩٩٩ دولاراً في العام . وهكذا فالاتجاه العام الواضح هو ازدياد معدل المواليد كلما هبط دخل الفرد .

(ب) تشغيل الأطفال

إن السواد الأعظم من الشعب يشتغل بفلاحة الأرض ، ويعتبر الفلاح الأطفال قوة اقتصادية بالنسبة له ، فهو يحتاج الي الكثير من الأيدي العاملة في الزرع والجني . وكان الاعتماد الكلي ، قبل دخول الآلة في المزارع والمصانع ، علي الأيدي العاملة فكان في إنجاب الأطفال عون للفلاح والمالك الصغير علي عمله ومساعدة له في إتمام شتي نواحيه علي الوجه الأكمل .

٢ - الناحية الإجتماعية

(أ) البيئة الريفية

إن للعوامل الإجتماعية أثرها الشديد في ارتفاع نسبة المواليد في مصر ، ويقصد بالعوامل الاجتماعية تلك العوامل المرتبطة بحياة المواطن العربي نفسه وطرق معيشته والعقائد والأفكار التي تهيمن عليه ، فضلا عن أثر الدين ثم المعتقدات أو الآراء الخرافية التي ورثها عن الماضي .

والمجتمع الزراعي الذي يعيش فيه أكثر من ٧٤٪ من السكان من أهم تلك العوامل ، والمجتمع الزراعي كما يعرفه " *رجال علم الاجتماع*" هو « *مجتمع يرتبط أهله ارتباطاً وثيقاً بالأرض التي يعيشيون عليها ويتأثرون بالطبيعة التي يعيشون تحت كنفها . وتؤثر تلك البيئة الزراعية في عقلية السكان وتجعلهم اتكاليين يؤمنون بالطبيعة ويعتقدون أن الحياة والتوالد مسألة لا شأن لهم بها ، وأنها إرادة الله التي لا حول للفرد ولا قوة إزاءها .* »

وقد يكون للطقس أثر كبير في ارتفاع معدل المواليد في جمهورية مصر العربية ، فقد وجد العلماء المختصون علاقة بين المناخ والخصوبة الإنسانية ، إذ تكون الخصوبة علي أشدها في المناخ المعتدل والذي يميل الي الحرارة نوعاً ما ، وهذا الوصف ينطبق علي الأحوال المناخية في هذا البلد .

ثم إن عدم تنظيم أوقات الفراغ وعدم توافر النوادي أو دور اللهو كالسينما والمسارح في الريف لشغل أوقات الفراغ له أثر هام في زيادة نسبة المواليد .

(ب) معدل الزواج

إن معدل الزواج في جمهورية مصر العربية مرتفع إذا قورن بمعدلات الزواج في العالم . فالمصريون في تقاليدهم يقدسون الحياة الزوجية ، ويعتقدون أنها أساس الحياة الصالحة المثمرة ، ويتأثر معدل المواليد عامة بمعدل الزواج ، ولكنه يتأثر بصورة أوضح بسن الزواج . توضح الإحصاءات أن أكثر من ٤٥٪ من الزيجات في مصر تكون سن الزوجة فيها أقل من ١٩ سنة ، بينما لا تتعدي هذه النسبة في انجلترا مثلا ٨٪ فقط . وترتفع نسبة الزيجات في سن مبكرة في القرية عنها في المدينة التي تدفع مستلزمات الحياة فيها كلا من الشاب والفتاة الي الانتظار حتي يتم نموهما اقتصاديا لتحمل تبعات الزواج ، بعكس الحال في القرية التي يعتبر الزواج فيها كسباً اقتصادياً لكل من الفتي والفتاة ، ويستتبع ذلك كثرة عدد المواليد ثم زيادة عدد السكان .

وهناك اعتقاد راسخ في عقلية بعض الزوجات أنها تستطيع أن تضمن الإبقاء علي زوجها بإنجاب أكبر عد ممكن من الأطفال ، يؤيد هذا الرأي أن ٩٪ من حالات الطلاق في مصر تحدث قبل إنجاب الطفل الأول ، ٤٪ قبل الطفل الثاني ، و٣٪ قبل الثالث .

(جـ) تعدد الزوجات

إن مبدأ تعدد الزوجات ترجع اليه مسئولية كبيرة في نسبة زيادة المواليد في مصر ، وتكثر هذه الظاهرة في الريف وفي الطبقات الفقيرة عنها في المدن وبين الطبقات المتعلمة .

مواجهة المشكلة

من أهم أهداف نهضتنا الحالية توفير حياة كريمة لأبناء الشعب . ومنذ أن حكم الشعب نفسه بنفسه وأصبحت المشاكل العامة تأخذ نصيبها من إهتمام الحكام والمسئولين ، بدأ التخطيط لتحسين مستوي المعيشة ورفع الدخل القومي ، وتعويض ما عاناه الوطن من تأخر حضاري واجتماعي بسبب الاستعمار البغيض . وكان من أهم المشاكل التي برزت واتضحت ، مشكلة الزيادة الهائلة المطردة في عدد السكان ، وحجم الأسر . وقد وجد أنه مهما بذل الجهد والمال لزيادة الدخل القومي فإن مستوي الفرد لن يرتفع ، بل قد ينخفض إذا ما استمرت نسبة زيادة السكان علي ما هي عليه . فجندت الهيئات والجمعيات لبحث تلك المشكلة وإيجاد الحلول لها وتذليل ما قد يقف حيالها من عقبات . ولعل من أهم وأنجع وسائل علاج تلك المشكلة ، زيادة الوعي عند الأفراد بإنشاء العيادات الطبية لنشر هذه الآراء وإعطاء المعلومات الصحيحة علي أيدي متخصصين . ونشر هذه الوسائل والمعلومات في الريف عن طريق الزائرات الصحيات ، ثم تدريس هذه المعلومات بكل صراحة وأمانة ضمن مقررات الصحة العامة لطلبة المدارس الثانوية ومعاهد البنات الثانوية والعالية . وعلي رجال الدين مسئولية كبيرة في تيسير حلول لهذه المشكلة ، إذ يعتقد الكثيرون أن مبدأ تنظيم النسل وتحديده يتنافي مع تعاليم الدين الإسلامي . ومما قد يساعد علي تحقيق هذا المبدأ إيجاد وسائل فعالة وفي مقدرة عامة الشعب الاقتصادية ؛ مما يبطل الاعتقاد بأن تكاليف تنظيم النسل باهظة الثمن أو غير أكيدة النتائج ، وقد أهتم المسئولون بهذه المشكلة وطرق علاجها .

ولكن كل فرد عليه مسئولية يتحتم أن يقوم بها خير قيام ، وما جلائل الأعمال إلا نتاج لإسهامات صغيرة تتجمع كما تتلاقي السحب لترسل الي الأرض العطشي ما يبعث فيها الحياة والخضرة والرزق . وكل فرد في البيت مسهم ، واحد بماله وآخر بتهيئة الجو الصحي الملائم . ومن مجموع هذه الإسهامات يتكون البيت السعيد .

وكل أسرة في المجتمع تستطيع ، بل يتعين عليها أن تسهم وأن تتفاعل وأن

تتجاوب مع النداءات المتكررة التي يعلنها أولو الأمر وأصحاب الرأي السديد ممن يشرفون بنظراتهم الثاقبة علي مجريات الأمور .

ونحن نحيا في مجتمع ديمقراطي اشتراكي يؤكد ألا تطغي طبقة علي طبقة أخري ، وألا تستأثر فئة قليلة بنصيب الأسد تاركة الفضلات للسواد الأعظم من الشعب . وإذا حاول النظام الاشتراكي الديمقراطي أن يقرب الطبقات ويؤكد مبادىء الحرية والعدالة والكفاية والكرامة ، فإن الأداة التنفيذية تقع بين أيدي من يعيشون في ظل هذا النظام .

فالمبادىء السامية العالية النبيلة تحتاج الي سند قوي يحميها ويصونها وينميها لتتأكد وتصبح من نسيج هذا المجتمع .

وهذا السند يتمثل كلية في الجماهير ، في أفراد المجتمع الذين يستظلون بظل هذه المبادىء .

وهؤلاء الأفراد ، لكي يعملوا عملا صالحاً يؤكد دورهم كعمد صلبة متينة تستند اليها هذه المبادىء ، عليهم أن يعوا ويفهموا بعمق وتأكيد قيم هذه المبادىء .

وبعد التوعية ، أي بعد الإدارك يأتي السلوك والتنفيذ الذي يضمن بقاء هذه المبادىء .

ولعل أهم ما في السلوك والتنفيذ ، الرغبة التلقائية النابعة من الأعماق بضرورة تحمل المسئولية ، أي أن يقوم كل فرد بما يوكل اليه من أعمال بكل جد وإخلاص وأمانة .

٥ - الطور الذي تجتازه الأسرة

تمر الأسرة منذ اليوم الأول لتكوينها بمراحل متباينة تتصف كل مرحلة منها بصفات خاصة مميزة ، وعندما تكمل الأسرة طوراً من حياتها تنتقل الي الطور الذي يليه ، حتي تكمل الحياة دورتها . فقد تتشابك عدة أطوار في وقت واحد . وهناك عدة طرق لتحديد تلك الأطوار ، فبعض الاقتصاديين قسموا دورة حياة الأسرة علي أساس طرق استعمال الأسرة لدخلها ، وآخرون قسموها الي مراحل تتمشي

مع مستوي الأطفال في التعليم . وأي من هذه التقسيمات ما هو إلا أداة لمعرفة مسئوليات كل طور والموارد المتوافرة فيه ، وطرائق استعمال تلك الموارد لتتفق مع احتياجات الأسرة في هذا التطور .

أهمية معرفة طور الأسرة من وجهة نظر إدارة المنزل

إذا قلنا إن أسرتين تتكون كل منهما من ثلاثة أفراد ، وتتماثلان في مستوي المعيشة ومقدار الدخل ، فهل نتوقع تماثلا في مشاكلهما الإدارية ؟ . لن نستطيع الإجابة علي هذا السؤال إلا إذا عرفنا طور كل أسرة منهما . فربما كانت الأولي حديثة التكوين ، أي أن الأب والأم صغيران في السن وطفلهما رضيع ، وقد تكون الأسرة الثانية في طورها الرابع فالأب والأم في مرحلة متقدمة من السن ؛ ربما يكون الأب في المعاش والابن أو الأبنة يعمل أو في سن الدراسة الجامعية ، وبديهي أن لكل من هاتين الأسرتين مشاكل إدارية تختلف عن الأخري تمام الاختلاف .

أطوار الأسرة

عندما يتم زواج رجل وامرأة فإن أسرة جديدة تتكون . وتمر تلك الأسرة بفترة تكوين وتكيف تعرف بمرحلة أو طور التكوين ؛ ثم يبدأ طور إنجاب الأطفال وتربيتهم حتي يبلغوا أشدهم ويتحملوا مسئولية أنفسهم . وتنقسم هذه الفترة الي ثلاثة مراحل : الأولي هي الفترة التي يكون فيها أكبر طفل للأسرة في سن الرضاعة ؛ والثانية وفيها يبدأ الطفل تعلم المشي والكلام ، أي السن التي تسبق دخوله المدرسة ؛ ثم الثالثة وتبدأ فيها سن الدراسة التي يمر بها الأولاد بالمرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية ثم الجامعية ، ويمر فيها الأولاد بسن المراهقة ، وحتي يبلغوا سن العشرين تقريباً . وهنا يظهر طور جديد للأسرة ، وفيه يبدأ الأولاد يستقلون بحياتهم فيشتغل منهم من يشتغل ، أو يتزوج من يتزوج ويغادرون بيت العائلة ، يبدأ طور جديد . يعود الزوج والزوجة ليعيشا بمفردهما حتي نهاية العمر ، ويسمي هذا الطور بالعش الفارغ .

وكثيراً ما تتداخل هذه الأطوار فقد تشترك الأسرة في تربية أطفالها في سن

المدرسة بينما يكون في البيت طفل رضيع ، وربما في نفس الوقت يكون الأبن أو البنت الكبري قد تزوجت وغادرت البيت ... وهكذا . وسنحاول في هذا الكتاب تناول أطوار الأسرة منسوبة للمرحلة الدراسية التي يجتازها الأبناء ، فنقسمها كالآتي :

١ - مرحلة التكوين والاستقرار .

٢ - مرحلة إنجاب الأطفال ، أي الأطفال قبل سن المدرسة .

٣ - مرحلة وجود الأطفال بالمدرسة الابتدائية (والاعدادية) .

٤ - مرحلة وجود الأطفال بالمدرسة الثانوية .

٥ - مرحلة وجود الأطفال بالمرحلة الجامعية .

٦ - مرحلة استقرار الأولاد بحياتهم .

٧ - المرحلة الأخيرة من الدورة .

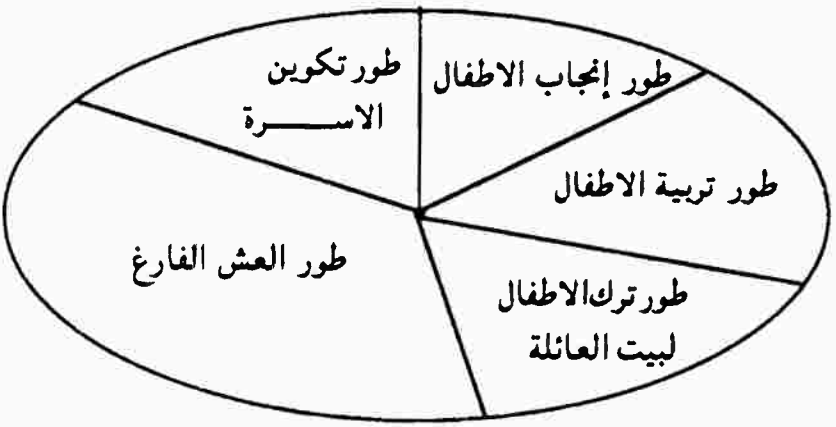

شكـل (٦) : دورة حيـاة الاسـرة

وعادة تمر كل أسرة بتلك الأطوار ، وقد يختصر الطور الرابع والخامس في حالة اكتفاء الأسرة بتعليم أولادها في المرحلة الإلزامية من التعليم وهي المرحلة الابتدائية (والاعدادية) ، وفي حالات زواج الأولاد أو البنات المبكر .

طور التكوين والاستقرار

وفيه تبدأ الأسرة تكوين وسائل معيشتها ، فيقوم الزوجان بشراء أثاث البيت أو تنفرد أسرة العروس بهذا العبء ، وهو اتجاه أخذ في الزوال في عصرنا الحديث الذي تعمل فيه الفتاة جنباً الي جنب مع الرجل ، ويتحمل الاثنان تأثيث بيتهما ، وقد تبدأ الأسرة وعليها بعض الديون أو الأقساط الشهرية تسديداً لبعض الأثاث أو الأدوات . أما المصاريف الاستهلاكية ، من مأكل وملبس ، فعادة تكون أقل في هذه المرحلة من أية مرحلة أخري . و غالباً ما يكون لدي العروسين ما يكفيهما من ملابس لبعض الوقت .

وأهمية تلك المرحلة أنها الفترة التي يقرر فيها الزوجان فلسفة عامة لإدارة شئون البيت ، والتي يتفقان فيها علي أهدافها ، ويكيفان ما لهما من قيم ، ويضعان تخطيطاً طويل الأجل لتحقيق ما ينشدانه من آمال وأهداف .

طور إنجاب الأطفال

وفيه ترتفع تكاليف المعيشة ، وكثيراً ما تحتاج ربة البيت وخاصة الزوجة العاملة الي مساعدة خارجية في تربية الأطفال نظراً لضيق وقتها وكثرة مشاغلها ، ثم إن المنصرف في شراء أدوات وأثاثات جديدة يزيد زيادة ملحوظة . فكثيراً ما تفكر الزوجة في تلك الفترة في شراء غسالة كهربائية مثلا أو في شراء حجرة لطفلها أو لأطفالها ، وقد يتبع ذلك ارتفاع تكاليف السكن إذا انتقلت الأسرة الي شقة أكبر أو بيت أكثر إتساعاً .

أما عن ارتفاع قيمة الوقت في هذه المرحلة فلا تضاهيها مرحلة أخري . وهنا تزداد أهمية التخطيط الجيد وحسن تنفيذ الخطط ومراقبتها ، ويلزم المهارة في حسن استغلال واستعمال موارد الأسرة المختلفة . وفي هذا الطور تضع الأسرة الخطط المتعلقة بمستقبل أطفالها وادخار بعض المال لمواجهة تكاليف المدارس والمرحلة التي تلي ذلك .

طور وجود الأطفال بالمدارس الابتدائية (والإعدادية)

لا يحدث تطور مفاجيء في أحد أوجه تكاليف المعيشة الرئيسية في هذا الطور ، إلا أن الزيادة تشمل جميع النواحي بصفة عامة . يكثر في هذا الطور شراء الأدوات المدرسية ، وربما بعض اللعب الغالية كالدراجة وغيرها . ويتعرض الأطفال في هذه السن لكثير من الأمراض مما يزيد قيمة المنصرف في العلاج الطبي. كما أن استهلاك الأطفال لملابسهم في هذه المرحلة يفوق أية مرحلة أخري ، فهم يلعبون كثيراً ولا يقدرون قيمة ما يرتدون .

ويحتاج الأولاد في هذه المرحلة لرعاية الأبوين في دورسهم ومباشرة واجباتهم المنزلية مما يستلزم وقتاً غير قصير ، ثم إن علي الوالدين الاتصال الدائم بالمدرسة والمشاركة في أوجه نشاطها والتعاون مع القائمين بالتربية فيها لمصلحة الأطفال وتفهم ما يعترضهم من مشاكل . وقد ظهر هذا الاتجاه واضحاً في السنوات الأخيرة ، فأصبح في كل مدرسة مجلس للآباء والمعلمين ، تبحث فيه بعض مشاكل المدرسة وتتاح الفرص لولي الأمر للاتصال بمن يقومون علي تربية ابنه أو ابنته ، والتعاون بين البيت والمدرسة أمر لا شك في أهميته وضرورته .

طور وجود الأطفال بالمرحلة الثانوية

وتزداد فيه تكاليف المعيشة بصورة تدريجية عامة . في هذه المرحلة تبدأ الطلبات والرغبات الفردية للأطفال تأخذ صورة بارزة وملحة في الأسرة ، فكل منهم يقارن نفسه بغيره من زملائه ويريد أن يكون مثلهم إن لم يكن أحسن منهم مظهراً وموضوعاً . إن بند مصاريف الغذاء يشهد ارتفاعاً ملحوظاً في هذا الطور ، إذ أن شهية الأولاد في هذه المرحلة وحاجتهم لكميات كبيرة من الغذاء وحسن إختيار غذائهم تسبب هذا الارتفاع .

طور وجود الأبناء في المرحلة الجامعية

تزيد تكاليف التعليم في هذه المرحلة زيادة كبيرة ، وقد خفت حدة التكاليف عندما قررت الدولة مجانية التعليم في الجامعات والمعاهد العليا . غير أن قلة عدد الجامعات وتركيزها في عدد قليل من المدن يضطر أولياء الأمور الي إرسال

أبنائهم الي المدن الجامعية أو يؤجرون سكناً خاصاً مما يكلف هؤلاء مصاريف باهظة في المعيشة ، وقد لا يشعر سكان المدن بهذه الزيادة نظراً لوجود الجامعات في مواطن سكن الأسرة ، وإنما ترتفع التكاليف نتيجة شراء الكتب ومستلزمات الدراسة بالنسبة للجميع .

في هذه السن تتسابق الطالبات وكذلك الطلبة في الظهور بمظهر لائق ويستهلكن ملابس كثيرة ، بل وقد يرغمن الآباء علي شراء الأصناف الجيدة والغالية من الملابس وغيرها . كما أن مصاريف المواصلات والمصاريف الشخصية تلقي زيادة ملحوظة في هذه السن . وتتضح أهمية ذلك الدور في العائلات التي بها أكثر من طفل ، فكثيراً ما تتداخل هذه المرحلة مع غيرها مما يزيد العبء علي عملية إدارة المنزل . وفي كثير من البلاد الأجنبية كالولايات المتحدة الأمريكية مثلا ، يتكفل الولد أو البنت بالانفاق علي تعليمه الجامعي ، فهم يستغلون أوقات فراغهم ويعملون في الأجازات الصيفية حتي يستطيعوا تحقيق اكتفاء ذاتي ، ويتركون الفرصة لاخوتهم ممن هم أصغر سناً ليتمتعوا برعاية الأبوين في يسر ودون إرهاق لهما .

طور استقلال الأبناء

وهو يتبع إما المرحلة الثانوية من التعليم أو المرحلة الجامعية .

وقد تبدأ هذه المرحلة بأن ينتقل الابن أو البنت الي أسرة خاصة به ويبدأ دورة حياة جديدة ، أو تبدأ باشتغال أحدهما بعيداً عن البيت واضطراره للانتقال الي مقر عمله .

تتسم هذه الفترة بمظهرين مختلفين ، فعندما يعمل الأبناء غالباً ما يساعدون الوالدين بشيء من دخولهم ، وهذا يرفع من الدخل المالي للأسرة .

والمظهر الآخر هو التكاليف الباهظة التي يعانيها الوالدان عند زواج بناتهم ، وتكاليف الجهاز ، وحفلة العرس وما الي ذلك .

وتختلف موارد الأسرة في هذه المرحلة اختلافاً واضحاً نظراً لاختلاف أعمار أفرادها ، وبالتالي ميولهم ثم مهاراتهم وقدراتهم التي تتحدد وتتضح في هذه المرحلة . وعلي إدارة المنزل مراعاة كل ذلك والاستفادة منه لتحقق أكبر سعادة

للأسرة ولبلوغ أهدافها المرجوة .

الطور الأخير في دورة حياة الأسر

وهي فترة هدوء وسكينة بعد فراغ البيت من معظم أفراد العائلة ويعود الزوجان ليعيشا بذكريات حياتهما الطويلة الحافلة ، غير أن تلك الفترة قليلة الحدوث في مصر نظراً لانخفاض متوسط عمر الفرد ، فغالباً ما تفقد الأسرة أحد عائليها سواء الأب أو الأم في مرحلة مبكرة عن ذلك . ومن أعباء تلك المرحلة أن سن الشيخوخة عند الوالدين تستتبعه مصاريف طبية وحاجة زائدة الي عناية ورعاية الأبناء . وهنا تنشأ مشكلة أهل الزوج أو الزوجة ، ومع من يعيش المسنون من الأبوين ؟ وطبيعي أن الدخل في سن التقاعد يقل كثيراً ، وهنا تستفيذ الأسر مما خططته لهذه السن من مدخرات واحتياطات تكفيهم مئونة الالتجاء الي غيرهم أو معاناتهم مشاكل تلك السن المتقدمة ، وما قد يواجهه أحد الزوجين من مصاريف وفاة أو مرض أحدهما . ويوضح شكل (٧) اختلاف تكاليف المعيشة تبعاً لأطوار الأسرة .

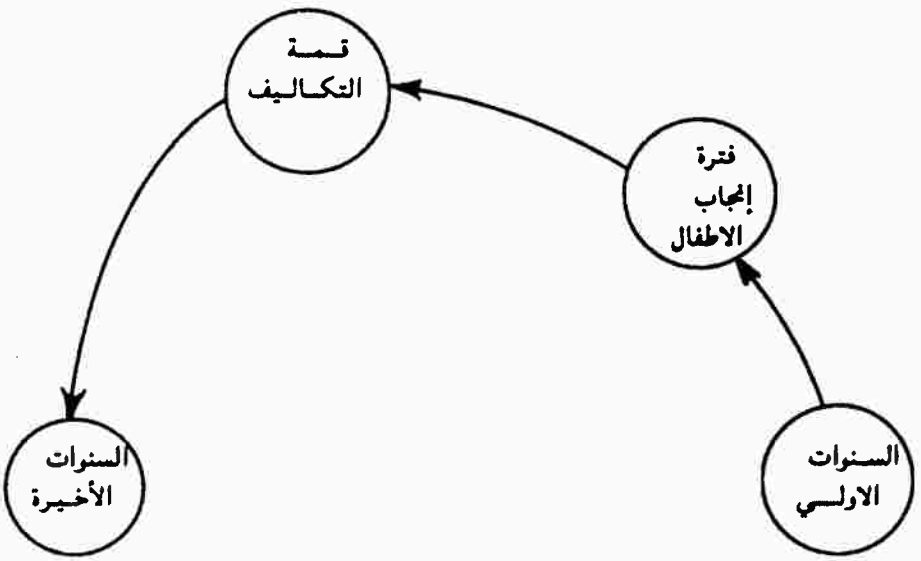

شكل (٧) : تكاليف المعيشة في أطوار الأسرة المختلفة

٦ - الزوجة العاملة

إن خروج المرأة للعمل واكتساب العيش مثلها مثل الرجل أمام المجتمع ، مبدأ لم يعترف به ولم يلق رضي من الكثيرين وخاصة في الشرق إلا منذ عهد قريب ، والي اليوم نجد التقاليد والأفكار الرجعية تتحكم في آراء بعض العائلات في هذا الوضع . ولكن عجلة الزمن لا يمكن أن تعود الي الوراء ، فمع التقدم الحضاري وما حققته المرأة من مستوي تعليمي وثقافي واجتماعي كان لابد لها أن تشارك الرجل في حمل مسئولية الحياة ، ومع ازدهار المدنية وما يتبع ذلك من ارتفاع مستوي المعيشة ، وما يتطلبه من زيادة في الموارد وزيادة وتنوع في الأهداف ، أصبح من العبث أن يقتصر نصيب المرأة في المشاركة في أعباء الحياة علي واجباتها المنزلية وتربية الأطفال ، خاصة وأن انتشار الصناعات والآلات وما قدمته الاختراعات الحديثة من تسهيلات لربة البيت وللعائلة ككل خفف من عبء تلك المسئولية ، وأصبح لزاماً علي المرأة أن تسهم في زيادة دخل الأسرة فخرجت للعمل . وهي بذلك تخدم نفسها كإنسان له حريته الكاملة في أن ينال نصيبه من الحياة الاجتماعية والثقافية ، وتخدم أسرتها فتساعد في رفع مستواها وتزيد من مواردها ، وهي أيضاً تخدم مجتمعها ووطنها بأن تمده بالأيدي العاملة التي تشارك في نهضته الشاملة .

ولقد آمنت الثورة المصرية منذ اللحظة الأولي بحقوق المرأة ، فأعلنت حقها الكامل في المشاركة في بناء المجتمع الجديد ، ومنحتها المساواة في الحقوق المدنية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية . فلا عجب إذاً أن رأينا المرأة تتبوأ مكانها اللائق في المجتمع ، ورأيناها تشارك الرجل في شتي الوظائف ، وفي العمل في المصانع والشركات علي قدم المساواة المطلقة . واختيرت سيدة لتكون وزيرة لأول مرة في تاريخ مصر .

إذا بحثنا في الأسباب التي تدفع المرأة الي العمل أو بالأحري الأسباب التي تدفعها الي إضافة أعباء العمل الي وظيفتها الرئيسية في إدارة البيت ورعاية الأطفال لوجدناها كالآتي :

١ - الحاجة : فالفتاة تعمل لتكسب قوتها وتعول أسرتها إن لم يكن لها مورد رزق آخر .

٢ - ظروف المعيشة : منذ الحرب العالمية الثانية وأعباء المعيشة وتكاليفها في ازدياد مستمر ، ومستوي المعيشة آخذ في الارتفاع والمرأة تعمل لتساعد زوجها علي مجابهة ظروف المعيشة ، وللتمكن من الحصول علي طلباتها وطلبات أسرتها التي لا يستطيع دخل الزوج وحده أن يتكفل بها .

٣ - الدوافع الإجتماعية : كثيراً ما نري الفتاة تعمل بعد أن تنتهي من تعليمها لا لحاجتها الي النقود ولكن لشعورها أن المجتمع يتوقع منها ذلك ، وشعورها بالاستقلال الشخصي ، وكذلك لقضاء كمالياتها . وغالبا تتركنّ العمل عندما يتزوجنّ .

٤ - شغل وقت الفراغ : كثيراً ما يكون الدافع الأساسي للمرأة علي العمل هو شعورها بثقل الفراغ ، إما لأنها غير متزوجة أو متزوجة وليس لها أولاد ، أو في المراحل الأخيرة من دورة حياة أسرتها حيث يستقل كل فرد في العائلة بمسئوليته ، فتجد السيدة وقتاً فارغاً بين يديها يدفعها للبحث عن عمل خارج البيت .

أثر إشتغال المرأة

كان لنزول المرأة الي ميدان العمل أثر فعال في مضاعفة الإنتاج العام وزيادة القوي العاملة . فالتعاون بين الرجل والمرأة في الميدان الأقتصادي لابد سيؤدي الي زيادة الانتاج الذي له أكبر الأثر في رفع المستوي المعيشي للأمة .

أما أثر خروج المرأة للعمل علي البيت والأسرة فمتشعب الجوانب ، ومجال خصب للمناقشة البناءة . فهناك من يعتقد أن خروج المرأة لميدان العمل إنما يكون علي حساب أسرتها وأطفالها الذي يعانون من تركها المنزل وانشغالها بتبعات عملها . كما أن البيت الذي لا تشرف عليه ربته كل الوقت إنما يتعرض للانحلال والفوضي ، ويجني الأطفال ثمرة كل هذا .

وهناك رأي أكثر تفاؤلا ، فيري أن خروج المرأة لمضمار العمل إنما يوسع من أفقها ويقرب فلسفتها في الحياة من فلسفة زوجها وأبنائها ، ثم هي تزداد خبرة ومرونة في طرق تصريف الأمور وحل المشاكل . وتعمل حياة العمل علي تعويد المرأة نظام المشاركة وتجنب الأثرة وتكسبها أساليب عملية وواقعية في مواجهة المواقف ، مما ينعكس أثره علي الأسرة بأكملها ، فيزداد التقارب والتفاهم بين وجهات النظر . ثم هي تقدر مسئوليات العمل فتستطيع تفهم قيمة الوقت ، وتحسن استغلاله ، وتقدر قيمة كل الموارد الأخري المتوافرة للأسرة ، وتعمل علي استعمالها لما فيه سعادة أسرتها وتحقيق أهدافها . وقد أثبت التطور الحديث تفوق الرأي المتفائل في مشكلة خروج المرأة لميدان العمل وجمع ربة البيت بين مهام بيتها وعملها خارج البيت ، فنري زيادة ملحوظة في نسبة النساء العاملات التي بلغت ٥,٧٪ من تعداد النساء في جمهورية مصر العربية ، فبلغ عدد النساء العاملات حسب الإحصاءات الأخيرة حوالي ٤٠٠ ألف من مجموع القوي العاملة التي تبلغ حوالي ٧ ملايين شخصاً .

ولتشجيع المرأة علي العمل وضعت قوانين تكفل راحة المرأة العاملة وتوفير الإمكانيات التي تساعدها علي القيام بوظيفتها كأم وربة بيت جنباً الي جانب مع وظيفتها وعملها الخارجي . ومن تلك القوانين ما نص علي منع تشغيل النساء في الأعمال الضارة صحياً أو خلقياً ، وتحديد ساعات العمل ، وتوفير المقاعد للعاملات ، ثم حق العاملة في الاستقالة عند الزواج أو إنجاب الطفل الأول . وكذلك وضعت اللوائح التي ترعي الأمومة فرُوعيَ منح أجازات للوضع وتمتع المرأة بأجرها الكامل عن تلك الفترة ، ومنحت المرأة العاملة حق إرضاع طفلها أثناء العمل . وألزم قانون العمل في المادة ١٣٩ - فقرة ثانية - صاحب العمل الذي يستخدم مائة عاملة فأكثر في مكان واحد أن يوفر داراً للحضانة ، ويُحدد شروط إنشائها ونظامها وما تتحمله العاملة مقابل انتفاعها بها قرار من وزير العمل . وفائدة دور الحضانة لا تقتصر علي رعاية الأطفال أثناء وجودهم فيها ، بل تمتد كذلك لتشمل إرشاد الأمهات والآباء في المناسبات المختلفة ومناقشة مشكلاتهم ، وبذلك تتلقي الأمهات والآباء ثقافة تربوية تعود الفائدة العظمي علي الأسرة وعلي المجتمع بوجه عام .

وقد أجريت عدة بحوث في الولايات المتحدة الأمريكية لمعرفة أثر اشتراك

المرأة في ميدان العمل علي إدارة البيت وما يشمله من طرق استعمالها لموارد الأسرة . ففي بحث قامت به " *جامعة سيراكيوز*" لمقارنة أسر تعمل فيها المرأة خارج البيت في وظيفة منتظمة وبأجر ثابت ، بأسر تفرغت ربة البيت فيها أسرتها تفرغاً كاملاً ، كانت النتائج كالآتي :

١ - كان الوقت الذي تقضيه المرأة الموظفة في القيام بشئون البيت من تنظيف وطهو وخلافه ٣٤,٤ ساعة في الأسبوع ، بينما ربة البيت المتفرغة تقضي ٥٦,٤ ساعة في الأسبوع . ومن الطريف أن القائمين بالبحث كان لهم التعليق التالي « *إن مظهر البيتين لم يدل علي هذا الفرق* » .

٢ - قالت النساء العاملات إن الغذاء يتكلف أكثر مما لو تفرغن للبيت ... ولكن البحث وجد أن نسبة من كل خمسة بيوت كانت المرأة المتفرغة تصرف أكثر مما تصرفه المرأة العاملة في بند الغذاء .

٣ - في حالة المرأة العاملة يشترك الزوج في إدارة البيت مع زوجته ويساعدها في قضاء حاجيات الأسرة والأفراد وحتي في تربية الأطفال.

٤ - تقوم المرأة العاملة بنصيب بسيط في حياكة ملابس أسرتها .

٥ - ليست هناك علاقة بين اشتراك المرأة في النشاط الاجتماعي وتفرغها أو ارتباطها بعمل خارج المنزل ، وإن كان احتمال اشتراك المرأة العاملة في نشاط ما متعلق بوظيفتها وعملها أكثر احتمالا من المرأة المتفرغة.

٦ - كمية وأنواع أدوات المنزل المستعملة كانت تقريباً واحدة في كلا النوعين من الأسر .

تكيف الأسرة والمجتمع مع مكانة المرأة العاملة

إن خروج المرأة لميدان العمل يستلزم تعديلا وتغييراً وتكيفاً شاملا في أساليب واتجاهات أعضاء الأسرة ، وكذلك من المجتمع . والتكيف في الأسرة يبدأ من المرأة العاملة نفسها ، فهي تستعمل مواردها المحدودة بطريقة فعالة تسهل لها الجمع بين الوظيفتين ، ويسهل هذا مهارة ربة الأسرة في شئون المنزل ، ودرايتها بطبيعة أفراد أسرتها ، والقيم المفضلة ، وميول وخبرات الأفراد التي قد تستعمل لمصلحة الأسرة عامة . وعلي أعضاء الأسرة أن يقدروا الدور الذي تقوم به الأم

والزوجة في حياة الأسرة ويسهموا بطاقاتهم وقدراتهم للمشاركة في مسئوليات البيت .

وعلي المجتمع أن يسهل مهمة ربة البيت العاملة بتقدير التسهيلات اللازمة المادية منها والأدبية ، فالتسهيلات المادية قد تشمل أنواع الخدمات والمنتجات والمخترعات من آلات وأدوات لخدمة الأسرة والبيت ، ثم التسهيلات الأدبية وتشمل احترام المرأة العاملة وتشجيعها علي الإرتقاء في المراكز الاجتماعية مما يعتبر دخلا معنوياً للأسرة يسهم في إسعادها . بل إن تشجيع أفراد الأسرة جميعاً علي المشاركة في أعمال البيت دون غضاضة أو خجل ، وتقبل المجتمع لهذا الاتجاه يبشر بسير الأسرة في سبيل التقدم والرقي مما ينهض بالمجتمع كله ويرفع شأنه بين الأمم .

٧ - مكان سكن الأسرة

يحدد موقع سكن الأسرة الي حد كبير طرق إدارتها وطرائق استعمال مواردها . فتختلف طرائق أسرة تعيش في الريف عن أسرة تعيش في المدينة . وفي المدينة نفسها تختلف التقاليد والعادات من حي لآخر ومن بيئة لأخري . فأسرة تسكن الصعيد تختلف قطعاً عن أسرة تعيش في القاهرة ، عن أخري تعيش في الريف . ثم إن أسرة تقطن حي الزمالك مثلا تختلف عن أسرة تسكن بولاق أو حي السيدة زينب ، فطبيعة الحي والجوار تفرض علي الأسرة مستويات معينة وأهداف تتمشي الي حد كبير مع الأهداف العامة للوسط الاجتماعي المحيط . وما قد تعتبره أسرة في حي ما له قيمة حيوية ، قد لا يعني شيئاً لأسرة في حي آخر .

فمثلا قد تهتم ربة بيت تسكن حي السيدة زينب أن تمتلىء ذراعاها بأساور ذهبية تباهي بها جاراتها من سكان المنطقة ، بينما قد ترفض سيدة أخري تسكن مصر الجديدة أن تتزين بهذه الأساور الغالية الثمن . وتفضل عليها شراء ملابس وأحذية .

وقد تضحي أسرة تسكن المدينة بكثير من المتع لتتمكن من شراء ثلاجة كهربائية أو موقد حديث ، بينما قد لا تفكر أسرة ريفية في هذا العمل ، بل وربما

اعتبرته سوء إدارة أو سوء تصرف .

وإذا قارنا نسبة من يمتلكون المساكن التي يعيشون فيها في المدينة وفي القرية لوجدنا النسبة العظمي من سكان الريف يمتلكون منازل خاصة ، في حين أن نسبة من يمتلكون مساكنهم في المدن تعد قليلة جداً . إن سكان الريف ، لارتباط أرزاقهم ومواردهم عموماً بمواسم الزراعة المختلفة ، نراهم يؤمنون بأهمية التخطيط وينفذونه في كثير من بيوتهم . وإذا قارنا تعداد المرأة التي تعمل في المدينة وفي القرية ، نجد أن معظم أو كل الفلاحات يخرجن لمساعدة أزواجهن في الزراعة وفي تسويق منتجات الأسرة المختلفة ، ففي الواقع إن نسبة المرأة العاملة تزيد في الريف عنها في المدينة .

ومن أهم الاختلافات التي تلزمها الظروف البيئية علي الأسر ، العلاقات العائلية ؛ ففي الصعيد مثلا نري الأب هو السلطة الحاكمة التي لا يجرؤ أحد أفراد الأسرة علي مناقشته أو رد كلمة قالها ، في حين قد نجد المرأة لها تلك السلطة في الريف وإن كانت بدرجة أخف . وفي المدينة حيث نسبة التعليم مرتفعة ومكانة المرأة أكثر تقديراً واحتراماً ، نري الحكم والتعاون الاشتراكي هو سمة الأسرة . فكل القرارات تتم بالموافقة المشتركة من أفراد الأسرة ، وطرائق تصريف الموارد المتوافرة للأسرة يراعي فيها آراء ورغبات الأفراد جميعاً . وليست تلك بقاعدة غير قابلة للاستثناء ، بل نري اختلافات فردية في تلك البيئات المختلفة .